

تأملات فى مبدأ ختم النبوة

(٢)

القاضى الشيخ آفتاب حسين

تعريب : عبدالرحيم اشرف بلوش

على الرغم من أن الناس يتورطون فى المظالم والقتال وارقة الدماء، اما من أجل تقاليدهم أو تحت تأثير غزائهم وسياساتهم وعصبياتهم المختلفة ولكن مع ذلك بدأت آثار العلم والعقل تظهر فى العلاقات الدولية ، ونرى العالم يتقلص يوما بيوم بسبب الابحاث والاكتشافات والمعلومات العلمية ، وان لم توجد المودة والتعاون الكامل على المستوى الدولى فانه بدأ التسامح يتواجد على المستوى الشعبى . والقرآن هو الذى وضع اساس هذا التسامح الذى لم يكن معروفا بين الناس ولم يعترف به العالم قبل نزول القرآن. ولقد ظهرت فوائد هذه الرسالة القرآنية فى أربعة عشر قرنا ولا تزال تظهر حتى الآن بوضوح تام فى عصر النهضة الكاملة للعالم . وهذا دليل كون هذه الرسالة رسالة نهائية للبشرية . ولذلك لم تكن فيها مراعاة الحوائج الطارئة فى الايام التى نزلت فحسب بل كان المقصود منها هداية الانسان وارشاده فى العصور الآتية ايضا .

إن غاية الاسلام هى تخليق الشعور فى الانسان للتطور . ولكن هذا التطور يختلف كل الاختلاف عن تطورات الحضارات

اليونانية والرومية والصينية والمصرية والايرائية والهندية . ولم يكن مقصد الاسلام وهدفه تقييد المطامح الحماسية للامة الاسلامية فى الفلسفة الافلاطونية أو الافلاطونية الجديدة ، التى عقدت الفكر البشرى فى المناقشات اللفظية ، ولم تكن مسألة التوحيد الالهى البسيطة والجميلة تحتاج إلى التاويلات الفلسفية . انما الاسلام دين يضمن جميع انواع التطورات ، سواء كانت هذه التطورات روحانية أو مادية . إنه يدعو النفس الانسانية أن تكون دائما تابعة لرضى الله تعالى وتجاهد لطلب مرضاته ثم يدعوا الاسلام إلى الفلاح وينادى البشرية خمس مرات فى اليوم والليلة ويقول لها : حى على الفلاح ، ثم يحاول أن يجعل قلب الانسان مطمئنا بكلمة التوحيد ليرتسخ فى روجه مبدأ حاكمية الله التى تعلن عنها هذه الآيات: ان الحكم الا لله ، وألا له الخلق والامر ، بل لله الأمر جميعا ، ان الله يحكم ما يريد ، والله يقضى بالحق .

ان فلاح الانسان وسعادته فى رضا الله ، وللحصول على مرضاة الله لا بد لكل مسلم أن يكون فى قلبه تقواه وأن يطيع أوامره تعالى عزوجل بحيث تذوب شخصيته فى طلب مرضاة ربه ، وهذه هى المنزلة التى أشار اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « موتوا قبل أن تموتوا » وهذا هو طريق المجد الروحانى الذى اذا سلك عليه أحد لا يمكن له أن ينسى المثل الروحانية . ومن جهة اخرى فان احكام الاسلام توفر الهداية لكل درجة ومرحلة من درجات الحياة الانسانية ومراحلها . يقول بكتهاال إن أوامر الدين ونواهيته تحيط بجميع أشغال الحياة اليومية للانسان ، وبحياته الاقتصادية والسياسية حتى وجميع تحريضات ذهنه

وروحه .

وهذه الاوامر والنواهي مدونة فى نظام سياسى واقتصادى كامل . ويمكن العمل به فى كل زمان ومكان ، لان العمل به فى الماضى إنما هى مآثرة عظيمة من مآثر التاريخ الاسلامى التى تتحير فيها العقول . إن اغلب الباحثين الغير المسلمين حاولوا على أن يثبتوا أن هذا النجاح المدهش كان رهيناً للأسباب الخارجية ، مثلاً ضعف الأمم المجاورة و استخدام السيف والقوة وضعف العقيدة عند الناس فى ذلك الزمان ، الى غير ذلك من الاسباب . ولكن كيف يعللون بأنه مادام المسلمون عاملين بشريتهم المطهرة عاشوا فائزين ، واعراضهم عنها أدى الى ضعفهم وتخلفهم ، كذلك كيف يؤلون أن الكفار كلما عملوا بالاحكام التى نزلت على المسلمين ضمنت لهم الفوز والنجاح . فالجواب عن كل هذه التساؤلات ليس الا أن يعترف البشر أن أحكام القرآن والسنة النبوية خالدة وكافية لحل مشاكل كل البشر ، لأنها قوانين الفطرة ، والتجاوز عنها يؤدي الى خطر عظيم ، (Cultural Side of Islam P 5) ولكن هذه القوانين الفطرية التى جاء بها الاسلام للبشرية لاتراقب حياتها الاقتصادية والسياسية فقط بل تحرض الانسان على تسخير الكون وترشده الى سبيل التقدم فى امور الدنيا وحصول العلم مع ارشاد البشرية الى التقدم الروحانى .

ان الله تعالى ذكر فى كتابه المبين كثيراً من الاشياء والحقائق التى تتعلن بخلق هذا العالم وكونه خالق الكائنات جميعاً . فذكر عن خلق الارض والسماء والشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار ، وكذلك الاشياء التى نراها كل يوم ونستفيد منها كل حين ، وتشتمل فيها النعم

المتنوعة من الماء والهواء وخضرة الارض والفواكه وغيرها . ولكن قال الله عزوجل عن كل هذه الاشياء : « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا » (٣٨ = ٢٧) ، « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لعبين » . (٤٤ = ٣٨) .

وتم خلق الانسان بشأن يدل على منزلته بأن سجدته الملائكة وأشعرهم الله تعالى بأن لاعلم لهم الا ما علمهم ، والعلم الذى اعطى لآدم هو اكثر وازيد . فلذلك قيل لآدم ان يبنئهم باسماء الاشياء كلها ، فان جميع ما فى هذا العالم الواسع من الاشياء والموجودات خلق للانسان .

ومع ذكر هذه البركات المتنوعة أخبر الله تعالى الانسان بانها هى آيات له ليستخدم فيها عقله ويحث بها فكره ، قال تعالى : « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات القوم يعقلون » (٢ : ١٦٤) .
ولقد قال الله عزوجل ذلك بصيغة الامر ايضا : فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها » .

وقد ذكرت فى القرآن بعض الفوائد بشأن الشمس والقمر وغيرهما التى يمكن فهمها لكل انسان ، فجاء مثلا : « يسئلونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج » (٢ : ١٨٩) ، « والقى فى الأرض رواسى ان تميدكم ، وانظروا وسبلا لعلكم تهتدون » (١٦ = ١٥) ، « وعلمت وبالنجم هم يهتدون » (١٦ = ١٦) ، « وهو الذى

جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمت البر والبحر» (٦ = ٩٧) ،
 « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا
 عدد السنين والحساب » . (١٠ = ٥) . و علاوة على ذلك
 فان القرآن يعطى المعلومات الاساسية التى لازال عليها مدار العلوم
 من الازمنة القديمة حتى يومنا هذا ، فمثلا يقول القرآن : وهو الذى
 خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون » (٢١
 = ٣٣) ، « لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق
 النهار وكل فى فلك يسبحون » (٣٦ = ٤٠) .

بعد أن اشرنا الى الآيات الكريمة التى تقوى الايمان بالله
 وصلتنا به بذكر العلم والعقل والتفكر ومقاصد خلق العالم يجددنا أن
 نذكر بعض الآيات الواردة فى تسخير الكون . فهناك بعض الآيات
 الكريمة التى تذكر التسخير فقط . مثلا : « وسخر الشمس والقمر »
 (١٣ = ٢) ، (٣١ = ٢٩ ، ٣٩ = ٥ ، ٣٥ = ١٣) . ولكن تصرح بعض
 الآيات بوضوح تام أن جميع هذه الاشياء خلقت للانسان وسخرها الله
 تعالى لفائدته ، فقال « وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره
 وسخر لكم النهار » (١٤ = ٣٢) ، « وسخر لكم الشمس والقمر
 دائبين وسخر لكم الليل والنهار » (١٤ = ٣٣) ، « وهو الذى سخر
 البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها » (١٦ =
 ١٤) . « الم تر ان الله سخر لكم ما فى الأرض . . . » (٢٢ = ٦٥) .
 « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره » (٤٥ = ١٢) ،
 « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » (٤٥ = ١٣) .
 فجميع هذه الآيات تدل على ان الله تعالى لا يخلق شيئا الا وهو لفائدة

خلقه الآخر .

ان حد الادراك للعقل الانساني لا ينتهى عند سماعه للقوانين والآيات أو برؤية بعض الآيات فقط ، بل هذه بداية يبتدئ منها هذا الحد . لان الله تعالى عندما يأمرنا باستخدام العقل والتفكر ثم يعلمنا «الحكمة» ، فكيف تنتهى اذا مسئولية المخاطب بالاستماع الى هذه الآيات فقط ؟ بل يجب عليه ان يكون قادرا على ادراك الماهية والتاثير والنتيجة للاشياء بتجاربه ومشاهداته الذاتية ليفهم تلك الحكمة ويدركها والافلا يمكن ان يعلم غاية حكمة الله عزوجل . ولو لم يفهم الانسان ذلك الشئ الذى عبره الله بالحكمة والآية ، كما ورد فى الآية التالية ، ولم يدرك تلك الحكمة ، لا يمكن له أن ينجز المقصد الالهي .

خلق الله السموات والأرض بالحق ، ان فى ذلك لآية للمؤمنين

(٢٩ = ٤٤)

ان فهم الحكمة القرآنية وتسخير الكون يمكن بطريقتين : احدهما الطريقة التى شرف الله تعالى بها الانبياء ، كما أشير اليها فى ذكر سليمان وداؤد عليهما السلام : « ففهمناها سليمان ، وكلا آتينا حكما وعلما ، وسخرنا مع داؤد الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الأرض التى باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين » . (٢١ = ٧٩ - ٨١) . وانظر ايضا قوله تعالى فى سورة سبأ (الآيات ١٠ - ١٣) ، والطريقة الثانية أن يقدر عليها الانسان بالعلم والجهد والبحث العلمى والمشاهدة . ويمكن العمل لعامة

الناس على هذه الطريقة الثانية فقط . ان القرآن الحكيم فتح باب البحث العلمى بإشارته الى هذه الطريقة احيانا بذكر فوائدها و احيانا بأمره التاكيدى لها . ففى ضوءه يجب على المسلم أن يستخدم وسائل الأرض والسماء وامكانياتهما حتى وجميع ما خلق الله تعالى فى هذا الكون لفائدة البشرية . وكذلك يمكن القيام بواجب تسخير العالم مباشرة وغير مباشرة ، أى بكل طريقة ممكنة .

وهذا هو المعنى للآية الكريمة : « وقل رب زدنى علماء » (٢٠ = ١١٤) . فهذا الدعاء للعلم الذى تحصل به معرفة ماهية الاشياء والتى أودعت فى أبى البشر عليه السلام عند خلقه . ولاشك ان هذه المعرفة كانت اقوى وازيد من علم الملائكة ، (كما فى الآية التالية) :

« وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ، قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، فلما انبئهم بأسمائهم قال ألم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والأرض ، واعلم ما تبءون وما كنتم تكتمون » . (٢ = ٣١ - ٣٣) .

ولاستخدام هذا العلم جاء هذا التحدى : « الذى خلق سبع سموات طباقا ، ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » (٦٧ = ٣ - ٤) .

يمكن ان يكون معنى البصر هنا الرؤية بالعين فقط لأمثالى من

الذين ليس لهم معرفة بعلم الافلاك ولكن بالنسبة لأهل العلم كيف يمكن تعين المعنى والمراد من قوله تعالى سبع سموات والنظر الى كل سماء ، بدون العلم الواسع للأرض والسماء والفضاء والنجوم ؟ لاشك ان امعان النظر فى الأرض والسموات كما جاء فى هذه الآية لا يحصل بدون العلم وتطوره السريع كل يوم والمباحث العلمية الواسعة .

وقال الله عزوجل فى سورة لقمان : «الم تروا ان الله سخركم ما فى السموات وما فى الأرض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ...» (٣١ = ٢٠) . أفليس من اللازم ان يحصل الانسان على السلطة الكاملة على كل ما خلق له وعين لخدمته بأن يستخدمه ويستفيد منه ؟ ان الله تعالى اختار الاساليب المختلفة فى كتابه العزيز لتوضيح نقطة أن تسخير العالم ليس بحق للانسان فقط بل هو فرض عليه .

لا حاجة الى بيان الجهود العلمية لهذه الغاية فى هذا العصر الذى لا يزال الانسان يشب فيه فى الفضاء ، ويرفرف علم الفتح الانسانى على القمر ، وتدور الاقمار الصناعية حول الكواكب النائية لحصول العلم والقيام بالاكتشافات العلمية ، ويزيد كل يوم مستوى الحياة الانسانيه . ومع انه لم يحصل النجاح الكامل للقضاء على الفقر والجوع ولكن الدول المتطورة تغلبت وقضت عليه الى حد كاف ، ولقد اقتربت المسافات ، فالوسائل التى لم تكن موجودة لمعرفة القبيلة المجاورة فى النظام القبلى فى الماضى ، موجودة فى زماننا لمعرفة البشرية فى جميع انحاء العالم ولزيارتها ولقاتها . ان الاشياء المخترعة لرفاهية البشرية لاتعدولا تحصى . وتخرج اليوم ثروات من البحر واخترعت طرق الغياصة والقيام المستمر للعمل فيه ،

حتى اتسع نفوذ الانسان من الأرض الى الفضاء ومن البحر الى ماتحت الأرض . ولكن بالأسف ان الذين تلقوا هذا الدرس ، أى درس تسخير الكون ، فانهم نسوه وتركوه . والذين كانوا هم المحسنين للانسانية وكانت اسمائهم مشهورة فى الاقدمين من علماء المسلمين للعلوم ، سقطوا فى هاوية الذلة بعد أن سلموا كل شئى الى الاجانب . واشتغل هؤلاء الاجانب ، الذين حصلوا كل شئى من المسلمين ، فى الجهود اللامحدودة لتسخير العالم .

ويمكن فهم هذا الموضوع بطريقة اخرى ، قال الله عزوجل :
 «واعدوا لهم ما استطعتم» وبما ان هذا الموضوع يحتاج الى التفصيل ، لذلك نقدم الآية كلها ، «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم و آخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم » (٨ = ٦٠) . يتضح من هذه الآية ان حصول القوة والاعداد الحربى المتواصل وتوطيد الرعب و الهيبة على الكفار من شأن المسلمين ومن فريضتهم ، لذلك ماداموا مدركين باهمية هذه الفريضة دامت شهرتهم فى العالم المعلوم . نعم انهم كانوا يفتحون البلاد بالقوة العسكرية ولكن اهمية مآثرتهم هذه كانت كوسيلة فقط . ان الاستيلاء على البلاد كانت وسيلة للوصول الى سكان تلك البلاد ولتبليغ رسالة الله اليهم . ولكن مآثرتهم الحقيقية هى التى كانت تسخر بها قلوب الناس فتحصل لهم المعرفة بالاسلام وكانت تحدث او تزداد رغبتهم فيه . وكانت هذه السعادة نتيجة عن سلوك القرآن الذى لا مجال فيه الا للعدل والاحسان والمودة فقط . والذى يعلن عن براءته الواضحة من الظلم والعدوان . . .

فلما نسى المسلمون هذا الدرس عمل به انجلترا وهولندا اسبانيا، برتغال وفرنسا . ان الغرب لم يتسلط على كل قارة فحسب بل انتشر المبشرون والرهبان المسيحيون فى كل مكان وقاموا باعمال تبشيرية حتى قبل عدد كبير من الناس المسيحية فى افريقيا والدول والمناطق والقارات المكتشفة الجديدة ، مثل أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية والوسطى ، وزيلاندة الجديدة واستراليا وحتى فى القطبين - المناطق التى لم يصل اليها المسلمون ولم تصل اليها بركات الاسلام . كيف دمر الغرب سلطة المسلمين ؟ لاجابة لجوابه باتيان اى دليل واضح أو بحث كبير . مادامت حماسة المسلمين وعاطفتهم باقية للحصول على التكنولوجيا الحربية والاستراتيجية لم يستطع أحد ان يمنعهم من التقدم . ولما تخلفوا فى المهارة الحربية تقاعست بهم همهم عن اكتشاف السلاح الجديد للحرب ، وتدرجنوا الى عدم الكفاءة بدأ انحطاطهم ، ولم يزل يتسع امامهم طريق الانهيار كل يوم . انما يأمر القرآن بحصول القوة والاعداد الحربى واقامة الرعب و الهيبة على الاعداء والطريق الى هذه الاعمال لم يكن الا ان يقوموا بالاختراعات الجديدة لصنع السلاح . انه كان ينبغى ان لا يكون جديرا بصنع القنبلة الذرية أحد الا المسلمون فقط ، ولكنهم عتوا عن امر ربهم وهجروا القرآن ، فسلموا جميع هذه النعم الى الآخرين فتوقف ركب الاسلام وانغلق طريق تطوره .

انه يتبين بالتأمل القليل ان تقدم الغرب فى التكنولوجيا انما هو نتيجة العلم والنهضة الصناعية وتسخير الكون . ويتضح فى ضوء هذه الحوادث معانى جميع الآيات الكريمة الواردة فى باب العلم وتسخير

الكون ، ان الجهد المستمر وحصول العلم وتسخير العالم ينبغي أن تكون هي مهمة المسلمين .

والمرحلة التالية بعد الخلق هي التطور ، بل ان الخلق بذاته هو عمل تطوري . لذلك يثبت من العهد القديم والقرآن الحكيم ان خلق الكون تم فى ستة ايام ، مع ان الله تعالى قادر على ان يقول «كن» فيكون ، ولا يعلم احد مقدار ذلك اليوم وكم كانت مدته من آلاف السنين . ان اوراق التاريخ مليئة بتفاصيل تخبرنا بمراحل تطور البشرية ، وتشتمل على ذكر مختلف الادوار للحضارة من زمن الحجر الى الآن . ان النبوة والرسالة والكتب الالهية مرت كذلك من مرحلة التطور حتى جاءت المرحلة التى لم تكن فيها بعد الآن حاجة لارسال الانبياء والرسل والكتب .

والمثال الواضح فى القانون لهذا التطور هو قانون القصاص والدية ، ففى الشريعة التى جاء بها موسى عليه السلام كان القصاص ، وكان يليق بهم نظرا الى المرحلة الاجتماعية التى كانوا فيها ، ولكن كما يدل التاريخ ، ان النظام اذا كان مبنيًا على الشدة والعنف يكون له رد فعل يؤدي الى الرجوع الى نظم وقوانين معاكسة ، فلذلك نجد التأكد على العفو فى شريعة سيدنا المسيح عليه السلام . لو ان رد الفعل للشدة هو العفو فرد الفعل للعفو ليس الا العدل . لأنه عبارة عن المرحلة النهائية التى يحصل بها الاطمئنان بعد التجربة بالشدة والعنف . ولذلك اكد الاسلام على الدية والعفو مع وجود قانون القصاص . فالقصاص مشروع لان الفطرة والجبلة تقتضى الانتقام ، والعفو مشروع ومندوب اليه لتسكين الفطرة الانسانية التى تدعو الى

الاحسان ، والدية مشروعة للجزاء والعقاب ، فهل تبقى الحاجة الى القوانين الاخرى بعد الوصول الى مرحلة العدل ؟ لان العدل هو نتيجة رد الفعل ضد التطرف ، ولا يمكن ردالفعل ضد العدل . هذه المرحلة التي لم تكن بعدها حاجة لتجربة جديدة . وهذا هو الموضوع الذى يحكم فيه العدل - ان العدل هو الاول وهو الآخر - فكيف يحتاج العالم الى دين آخر بعد الدين الذى يضمن له هذه المنزلة . ان امة المسلمة هي امة وسط . والعدل والاعتدال هما عمودا دين الاسلام . فهل هناك شئ آخر يمكن ان يكون أعزواكرم من العدل فتكون الحاجة الى دين جديد فى المستقبل ؟ لذلك ان دين الاسلام هو المرحلة الاخيرة لتطور الاديان والرسول صلى الله عليه وسلم هو اللبنة النهائية فى بنيان النبوة . وبنيان النبوة هذا يشتمل على النبوة التشريعية وغير التشريعية . ومعنى الحديث ان هذا يشتمل على النبوة وصلت الى سماء منزلتها بالتدرج ولا يمكن اية اضافة اليها بعدكمالها وختمها لان الاضافة مناف للكمال :

ان ما يدعوا الى التفكير ان فلاسفة اليونان كانوا يؤمنون بالعدل ، قبل بضعة قرون من الميلاد ، على الرغم من اعتقادهم بالسرية والخرافات والوثنية والسحر والكهانة ، وثقتهم على الاساطير . وكتبوا على اهمية العدل وضرورته كتبا قيمة . ولكن الواقع ان افكارهم وعقائدهم كانت تنفى هذا كله . كانت فلسفتهم لاصلة لها بالتجربة رغم ان أساس العلوم العملية انما هو التجربة .

انه يثبت من ذكر ماقاله العلامة الدكتور محمد اقبال فى هذا الموضوع ، ان الفلسفة اليونانية مع كونها مباحكة وذات جدالات

لفظية و فرضيات عميقة ، لم تستطع أن تكون اساسا للعلوم المتداولة .
 انما هم المسلمون الذين وضعوا أساس هذه العلوم . لان أساس العلوم
 والابحاث المتداولة انما هو على التجربة التي اختارها المسلمون تحت
 تأثير العلوم القرآنية ، كما يثبت من قوله تعالى : « انظر » .
 ان العلامة محمد اقبال عالج هذا الموضوع بالبسط والتفصيل
 فى الباب الخامس من كتابه تجديد التفكير الدينى فى الاسلام فيقول :
 « وفى طفولة البشرية تنطور القوة الروحانية الى ما أسميه الوعى
 النبوى ، وهو وسيلة للاقتصاد فى التفكير الفردى والاختيار الشخصى
 وذلك بتزويد الناس بأحكام واختيارات وأساليب للعمل اعادت
 من قبل . ولكن الوجود أخذ بمولد العقل وظهر ملكة النقد والتمحيص
 تكسبت الحياة ، رعاية لمصلحتها التكوين والنمو لأحوال المعرفة التى
 لاتعتمد على العقل ، والتي فاضت القوى الروحانية خلالها فى مرحلة
 مبكرة »

من مراحل تطور الانسانية . والانسان محكوم اساسيا بالعاطفة والغريزة .
 أما العقل الاستدلالي وهو وحده الذى يجعل الانسان سيد ، لبيئته ، فأمر
 كسبى . فاذا حصلناه مرة وجب أن نثبت دعائمه ونشد من أزره ، وذلك
 بكسب أساليب المعرفة التى لاتعتمد عليه ، وليس من شك فى أن
 العالم القديم قد أخرج للناس بضعة مذاهب فلسفية عظيمة عندما كان
 الانسان على الفطرة الأولى نسبيا يكاد يحكمه الايحاء . ولكن
 يجب ألا ننسى أن قيام هذه المذاهب فى العالم القديم كان من عمل
 التفكير المجرد وهو لا يعدو أن يكون تنسيقا لمعتقدات دينية غامضة
 ولتقاليد اصطلح عليها الناس ، دون أن يجعل لهم سلطانا على أوضاع

الوجود المحسوس .

» فاذا نظرنا الى الأمر من هذه الزاوية وجدنا أن نبي الاسلام يبدو أنه يقوم بين العالم القديم والعالم الحديث . فهو من العالم القديم باعتبار مصدر رسالته ، وهو من العالم الحديث باعتبار الروح التي انطوت عليها رسالته ، فللحياة في نظره مصادر أخرى للمعرفة تلائم اتجاهها الجديد . ومولد الاسلام ، كما أرجو أن أتمكن من اثباته لكم بعد قليل اثباتا تطمئنون اليه ، هو مولد العقل الاستدلالي، " ان النبوة في الاسلام لتبلغ كما لها الأخير في ادراك الحاجة الى ختم النبوة نفسها . وهو أمرى ينطوي على ادراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمدا الى الأبد على مقود يقاد منه ، وأن الانسان ، لكي يحصل كمال معرفته لنفسه ينبغي أن يترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو " -

» ان ابطال الاسلام للرهبنة ووراثة الملك ، ومناشدة القرآن للعقل وللتجربة على الدوام ، واصراره على أن النظر في الكون والوقوف على أخبار الأولين من مصادر المعرفة الانسانية ، كل ذلك صور مختلفة لفكرة انتهاء النبوة .

» على أن هذه الفكرة ليس معناها أن الرياضة الصوفية، وهي لاتختلف من حيث الكيف عن النبوة، قد انقطع وجودها الآن بوصفها حقيقة من حقائق الحياة .

والحق أن القرآن يعد الأنفس والآفاق مصادرة للمعرفة .

فالذات الالهية ترينا آياتها في أنفسنا وفي العالم الخارجى على سواء . ولهذا وجب على الانسان أن يحكم على كفاية

كل ناحية من نواحي التجربة في افادة العلم. وعلى هذا ففكرة انتهاء النبوة ينبغي ألا يفهم منها أنها تفترض أن مصير الحياة في النهاية هو احلال العقل محل الشعور احلالا كاملا . فمثل هذا ليس ممكنا ولا مرغوبا فيه . ،

نقول في ضوء ما قاله العلامة : ان التاريخ والفطرة الانسانية هما وسيلتان كبيرتان للعلم وأساسهما على المشاهدة والتجربة . ولذلك زال تأثير الافتتان بالفلسفة اليونانية عند الفلاسفة المسلمين زوالا سريعا ، لانهم بدؤا بالعاطفة الحماسية دراسة القرآن في ضوء الفلسفة اليونانية اولا ، ولكن فشلت محاولتهم هذه فشلا سريعا . لأنه لم يكن من الممكن ان تتفق التعاليم القرآنية التي توجه الى عالم المحسوسات ، بمحاولة الفلسفة اليونانية على الفرار من عالم الواقع الى القياس والحدس . فازدهرت روح الثقافة الاسلامية بعد هذا الفشل حتى اصبحت هذه الثقافة الاسلامية في نهاية المطاف أساس الحضارة الحديثة من نواح متعددة .

ان النظام الفلسفي القديم وضع قاعدة كون التشكيك بداية للعلم . ففسر الغزالي هذه القاعدة في كتابه احياء علوم الدين ، ونور الطريق لاسلوب ديسكارت (Descartes Method) . واول من انتقد على الهيئة الاولى لارسطو هو ابوبكر الرازي . واعطى في زماننا جان استوارت مل شكلا جديدا الى أغراضه بعد ان نفخ فيها روح الاستقراء . واكد ابن حزم على كون الشعور والادراك والاحساس وسيلة العلم . وعند ابن تيمية انما هو الاستدلال الاستقرائي Inductive reasoning) الذي يعطى دليلا واثقا . . وهكذا اكتشفت طريقة

المشاهدة والتجربة .

لقد ذكر العلامة بالتفصيل الاعمال التي انجزها علماء المسلمين بالعمل بهذا الاسلوب في ميدان العلم . ولكن لاحاجة الى بيان هذه التفاصيل في هذه المقالة . والغرض انما هو التوكيد على ان العقل كان ناقصا مع وجود دور العقل قبل المسيحية ، وكان بين الفلسفة وعالم المحسوسات تباينا عظيما وبعداً واسعاً مثل التباين الذي كان بين السرية في الدين المسيحي اليوناني وعقل الانسان وتجربته . ان الاسلام هو اول دين انكر السرية في العقائد وايد الفهم والشعور والتجربة والعقل والعلم . ان العلماء المسلمين وضعوا أساس المعارف العلمية على المشاهدة والتجربة والاستدلال الاستقرائي بعد فهم تعاليم القرآن . وهذه الاساليب هي الروح الحيوية لتطور المعارف العلمية العظيمة الموجودة . وهذا هو المعنى لقول العلامة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتل مكانة الجسر بين القديم والجديد .

ان الخصوصية المميزة للاحكام التي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء كانت في صورة الوحي المتلو أو غير المتلو ، هي انها توفر لنا اصولاً كلية وقواعداً اساسية ، الا بعض الاحكام المعدودة . فقاعدة مرونة القوانين هذه انما هي الاستقرار في استنباط الاحكام وتدوين القوانين والقواعد في ضوء القرآن حسب الظروف لكل زمان الى يوم القيامة . وحديث معاذ رضى الله عنه يحتل اهمية كبرى في هذا الصدد ، فطبقاً لهذا الحديث اذا لم يوجد حل أية مسألة في القرآن والسنة ، يمكن حلها بالتفكر والرأى . والقياس انما هو نوع من انواع الرأى والفكر ، وينقسم الى قسمين : احدهما القياس الخفى وثانيهما

القياس الجلى . ثم تشعبت طرق القياس الخفى الى الاستحسان والاستدلال والمصالح المرسله واستحباب الحال وما اليها. فكما استعان الفقهاء الانكليز بمبدأ العدالة (Equity) بعد القرن الثانى عشر الميلادى ، لتطبيق العدل بصورته الكاملة فكذلك ازيلت قبل ذلك بمئات السنوات ، بعض مشكلات القياس الجلى باستعمال مبادئ الاستحسان والاستدلال والمصالح المرسله ، وذلك لتطبيق العدل فى صورته الحقيقية .

وإذا نظرنا بالنظر الغائر نجد ان أساس القياس الخفى على مبدأ ان كل قانون أو حكم لا يتعارض مع القرآن والسنة ، صحيح شرعا . فبسبب هذه المرونة فى الاحكام الشرعية ، ان الشريعة الاسلامية ليست بصالحة للعمل بها فحسب بل هى أحدث القوانين ، حتى ولايسع للمستشرقين الا ان يعترفوا بهذه الحقيقة . فلا بد من الاشارة الى بعض المبادئ التشريعية فى هذا الصدد .

فاحدى قواعد الشريعة الاسلامية هى : كل ما حكم به العقل حكم به الشرع وكل ما حكم به الشرع حكم به العقل. والقاعدة الثانية : الشئ الذى لا تثبت حرمة من القرآن والسنة فهو جائز. والقاعدة الثالثة : ان صلاح الامة ورفاهيتها من مقاصد الشريعة . ولذلك ذكر الغزالي ثلاث صور مختلفة للمصلحة فى هذا الصدد .

(١) ما شهد الشرع باعتبارها .

(٢) ما شهد الشرع بابطالها .

(٣) ما لم يشهد الشرع لا بابطالها ولا لاعتبارها .

فالصورة الاولى من هذه الصور الثلاثة حجة وقابلة للاستفادة .

والصورة الثانية للبطلان والثالثة للمصلحة . فالمصلحة عنده الشئ الذى تنجز به اهداف الشريعة وتتم به اغراضها. وتعريف المصلحة عند الامام ابن تيمية :

« ان يرى المجتهد ان يجلب هذا الفعل مصلحة راجحة وليس فى الشرع ما ينفيه » .

وجاء العلامة ابن القيم فى كتابه القيم اعلام الموقعين بمباحث رائعة فى هذا الموضوع ، وكذلك الامام العلامة ابواسحاق الشاطبى فى مؤلفه البديع الموافقات فى اصول الشريعة ، فمن شاء البسط والتفصيل فليراجع هذين المصدرين الاساسيين .

فالقاعدة الاساسية هى أن تشريع القوانين ينبغى ان يكون لفلاح البشرية وصلاحها ، وهى دليل واضح على وجود المرونة فى هذا الدين فى تشريع القوانين . وهذه القاعدة لا تلائم لجميع الازمان فحسب بل هى اولى وأرجح بشرط ان لاتتجاوز هذه القوانين الى اطار الباطل كما ذكره الامام الغزالى ، بل تكون مطابقة للشرع .

ويتضح هذا الامر ويتجلى حينما نرى ان امثلة حرمة الاشياء ذكرت فى القرآن والسنة بالصراحة . ولا يمكن تحريم الحلال ، يعنى لا يمكن الاضافة فى امثلة الاشياء المحرمة . وكذلك امثلة القوانين غير المرنة قليلة جدا ، ومع ذلك انما أساس هذه القوانين على فلاح البشرية . وهذا دليل آخر على مرونة القوانين . ولا يمكن لنا الا ان نفحص هذا الشئ باعتبار العدل والاعتدال فى الاسلام الذى تغلب فيه ناحية الاحسان .

ان الفكر السياسى المعاصر يكثر اليوم من استعمال اصطلاح

Checks and balances فى امور السياسة . وذلك لأنه اذا ارتكزت السلطات اللامحدودة فى يد رجل واحد فيوشك أن يستعمل هذه السلطات بطريقة غير شرعية . لذلك تفرض القيود والتجديدات على سلطات الحكومة لسدباب اساءة استعمالها والممارسة الغير الشرعية لها . وهذه القيود والتجديدات فى الواقع نتيجة الدستور الفيدرالى المكتوب ، وأحد امثلتها مراقبة الكونغرس على سلطات الرئيس الامريكى ، ومراقبة السلطة القضائية على الكونغرس . وكذلك مراقبة المحاكم على الامور الدستورية .

ولقد فرض القرآن مثل هذه التجديدات من قبل على جميع السلطات الحكومية ، فكل حاكم كبيرا كان او صغيرا مقيدبان يستخدم سلطاته طبقا للشرع وبصورة صحيحة . لذلك حددت السلطة لا بالتقوى واتباع الشريعة فقط بل جعل الشورى من اهم دعائم الحكم الاسلامى . نعم ان التقيد بمبادئ العدل والاعتدال كان كافيا ولكن الشرع لم يكتف به بل شرع الشورى بقوله تعالى: "وامرهم شورى بينهم" . فهو مثال جيد لقاعدة " Checks and balances " فى النظام الحكومى .

ان وقائع الحياة النبوية مليئة بامثلة العدل والاحسان . ومن ذا الذى ينكر أن عداء المشركين وظلمهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فى مكة المكرمة كان يقتضى الانتقام منهم بعد فتح مكة المكرمة ، ومصادرة اموال الذين صادروا اموال المسلمين من قبل . ولكن هل يمكن للتاريخ البشرى أن يقدم مثالا واحدا لما فعل هذا الرجل المظلوم بالظالمين بعد أن غلبهم ؟ . فانه لم

يعف عنهم فقط بل خلى سبيلهم حتى ولم يسترجع منهم اموال المسلمين . وهل يمكن لتاريخ الحروب فى العالم أن يعرض مثالا واحدا لطاعة العساكر لأمرهم ، وانضباطهم مثل ما فعله أصحابه عليه السلام ؟ فانهم رضوا لحكمه مع أن كفار مكة كانوا قد استولوا على أموالهم وديارهم التى كانت بمكة . وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم كان رحمة للاعداء واصحابه مؤيدين له فى هذه الرحمة .

ولا بد هنا من سرد بعض الوقائع للمقارنة بين شخصية نبينا صلى الله عليه وسلم وبين غيره من الانبياء . فنرى من ناحية أن العذاب كان ينزل على الامم وينجى الله أنبياءه ، حتى وكان يأتى العذاب بدعاء الانبياء عليهم . فكانت نجات نوح ولوط وهود عليهم السلام من هذا النوع . وطلبت ثمود آية من صالح عليه السلام ، فأرسلت ناقة الله كآية (٧ / ١١ ، ٧٣ / ١١ ، ٦٤) فأخذهم العذاب من ربهم (٥٣ = ٥١ ، ٥٤ = ٣١) . ولكن نجى صالح عليه السلام والذين آمنوا معه (١١ = ٦٤ ، ٤١ = ١٨) . وقد دعا نوح عليه السلام على قومه فقال : « فافتح بينى وبينهم فتحا ونجسنى ومن معى من المؤمنين » (٢٦ = ١١٨) ، « وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا » (٧١ = ٢٦) . وتولى صالح عليه السلام عن قومه بعد ان عقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم (٧ = ٧٩) . واستعان لوط عليه السلام من الله تعالى : « قال رب انصرنى على القوم المفسدين » (٢٩ - ٣٠) ، مع ان ابراهيم جادل الله فى قوم لوط لانه كان اوها منيبا (١١ = ٧٤ - ٧٥) . ودعا موسى عليه السلام على فرعون فقال : « ربنا

اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ، (١٠ = ٨٨) .
وعلى العكس من ذلك تماما فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل مظالم القريش وأمر أصحابه ان يتحملوا تلك المظالم ، ولكن مادعا على المشركين قط ، بل ان الله تعالى حفظهم من العذاب ببركة وجوده صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : « ما كان الله ليعذبهم وانت فيهم » (٨ = ٣٣) حتى وان الله تعالى اغلق باب القنوطية التي قد يلفظ بسببها الانسان كلمات اللعنة ، فقال : « ان عليك الا البلاغ » (٤٣ = ٤٨) (وكذلك الآيات : ٥ = ٩٢ ، ١٣ = ٤٠ ، ١٦ - ٨٢ ، ٦٤ = ١٢) وقال ايضا : « ليس لك من الامر شئى او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون » (٣ = ١٢٨) وقدورد بشأن نزول هذه الآية فى تفسير « ضياء القرآن » ، ما يثبت منه ان وجود الرسول عليه السلام لم يكن سبب الرحمة للمؤمنين فقط بل انه كان موجب الرحمة للكفار والمشركين . ولذلك لقب برحمة للعالمين .

وحيثما انكسرت اسنانه صلى الله عليه وسلم يوم الاحد وجرح جبينه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يفلح قوم جرح رأس نبيه وكسر اسنانه ، وهو يدعوهم الى الله تعالى فنزلت هذه الآية . وقيل استأذن فى أن يدعو فى استئصالهم ، فلما نزلت هذه الآية علم ان منهم من سيسلم ، وقد آمن كثير ، منهم خالد بن وليد رضى الله عنه (قرطبي) . وقول الفاروق رضى الله عنه يوضح هذه الحقيقة ويزيدنا ايمانا وهو : « بابى انت وأمى يارسول الله صلى

الله عليه وسلم ، لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا ، لو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا . فلقد وطى ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الاخيرا . فقلت رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون .

ولو استمرت سلسلة العذاب فى العالم بسبب عصيان الناس وكفرهم ، وطمست الاقوام ، هل كان للرسالة الالهية أن تصل الى العالم ؟ . ولكن كان من المقاصد الالهية فأبدلت القنوطية بالرجاء والشدة بالرفق والعقاب والعذاب بالرحمة .

وكانت حالة الرحمة والعفو على هذا القدر والمستوى ، وذلك لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان مظهرا لختم النبوة ، والدين الذى جاء به هو دين الهداية الى الابد . تجتمع فيه الصفات والخصايص التى تفيد البشرية منارا للنور والهداية الى الابد . واجتمعت فى شخصية النبي الهادى الذى هو خاتم النبيين الصفات التى أثرت على الكفار والمشركين تأثيرا ايجابيا عميقا لافى حياته فقط بل تحصل لاتباعه ايضا بالعمل بموجب هذه الصفات مرتبة فريدة فيحسنوا سلوكهم بالكفار والمشركين فى جميع الازمان ، ليستمر تبليغ الدين . وليست حياته صلى الله عليه وسلم الا نموذجا عمليا وتفسيرا للتأكيد الذى أولاه القرآن الكريم لمعانى العفو والرحمة والعدل والاحسان .

وقد يتقول بعض المستشرقين مع اعترافهم بفضائل الاسلام وسمو تعاليمه قائلين ان درس المودة الذى قدمته المسيحية هو الذى يكرره الاسلام . ولكن هل قدمت المسيحية مثلا لهذه المودة ؟ وهل

يحتاج أحد أن يلقي الضوء على هذه الحقيقة ؟ لان تاريخ المسيحية مليئة بوقائع الظلم والتعدى على المسلمين واليهود ، وبحوادث الخيانة والكذب ضدهم . وحتى اليوم نرى المسلمون ضحية هذه المظالم فى العالم كله . بل ان اليهود والنصارى يغزون المسلمين ويهاجمون عليهم ويعتبرونهم عدواً مشتركاً لهم .

ان تاريخ فلسطين شاهد على تكالب اليهود والنصارى وتعاونهم ضد المسلمين تحت ستار العلمانية ، ولكن المسلم يومن باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى التسامح والمودة والعفو والرحمة . وليس هذا الا شأن خاتم النبوة .

وقبل الختام ارى ضرورياً أن ألفت الانظار الى بعض المسائل التى تبرز فى هذه الايام بالمشاجرة بين القديم والجديد ، فنرى الفكر الجديد الذى متأثر بالمادية لعدم معرفته بالعلوم الدينية ، ويبدو كأنه مشتمز من كل قديم وتليد ، وذلك بسبب انحصاره فى نطاق العقل بعلمه المحدود . ولكن عدد أهله قليل جداً بفضل الله تعالى فى باكستان ، لوجوه : اولها وجود البيئة العائلية الدينية فى الطبقة المثقفة التى ينتمى معظمها الى الطبقة الوسطى ، وثانيها حركة "على كره" التى نادى بدمج القديم بالجديد ، وثالثها حركة احياء الاسلام فى شبه القارة الهندية من ثلاث ارباع القرن التى كانت سبباً لظهور دولة باكستان بين الدول الحرة فى شبه القارة ، ورابعها تكرار الوعود لتطبيق الشريعة فى الدولة ، وخامسها سياسة الحكومة لانجاز التعاون والمساعدة بين باكستان والدول الاسلامية والعربية بسبب العلاقات العاطفية والاشتراك الدينى . ولا يمكن صرف النظر

عن المساعى المنظمة فى هذا الصدد لبعض الجمعيات مع اختلافاتهم الفروعية . فمن هذه الجمعيات ، « الجماعة الاسلامية » و « الجماعة التبليغية » التى مركزها الرئيسى فى « رائى وند » .

والى جانب آخر عقلية الاصحاب المثقفين بالعلوم القديمة الذين لا يرون بأسا فى الانتفاع بكل جديد ، ولكن لا يخفى اشمئزازهم عن العلوم المتداوله التى هى أساس هذه الاختراعات . ان محور تعليمهم هو فقط تفسير القرآن والحديث ، والفقه الذى ينتسب كل منهم اليه . انهم جعلوا المساجد والمدارس ميادين التنافس والصراع بسبب اختلافاتهم الفقهية ، ولذلك لم تزل امكانية تعاونهم مشتبهافيه ، هذا هو السبب الخاص الذى يزداد به الافتراق والبعد فيما بينهم وبين الفكر الجديد . فأحدث هؤلاء الذين حددوا العلوم الاسلامية المذكورة فى تعريف العلوم الدينية دون العلوم العصرية فكرة خاصة فى هذه الطبقة ، فأصبحت هذه الطبقة تعتاد النظر الى الفكر الجديد بالشبهات ، وتسمى أصحاب الفكر الجديد بمنكرى الحديث او بالمتجددين أو بالملحدين ، أى الالقاب التى تستعملها الكنيسة فقط للمتمردين عنها .

وخلاصة جميع ما تقدمت بها من الآراء بصدد ختم النبوة ان التفاوت بين طبقتى علمائنا (يعنى القديمة والجديدة) انما هى نتيجة الحرمان العلمى ، ولو كان العلماء المثقفين بالعلوم الجديدة مضطلعين بعلوم القرآن والحديث ، لنشأ فيهم الاعتدال بدلا عن التطرف . فانهم اذا درسوا جهود الائمة المحدثين والمفسرين قبل بدء عصر التقليد دراسة مباشرة بصرف النظر عن سلوك علماء الدين

المعاصرين ، لينكشف عليهم نطاق المعارف الاسلامية وسعتها ويستبين عليهم كيف استنبط هؤلاء الائمة المسائل العمرانية والقانونية من القرآن والسنة و ان نتائجهم المستنبطة ودلائلهم القيمة لازالت مشعل الطريق فى حل مشاكلنا فى هذه الايام .

ومن ناحية أخرى فان علماء الذين فى زماننا قد أصبحوا بعيدين عن مقتضيات هذا العصر لعدم اضطلاعهم بالجهود العلمية الحديثة وتحديد مساعيهم فى نشاط ضيق جدا - وهذا هو السلوك الذى أنتقد عليه العلماء المخلصون منذ مئات القرون . فقد انتقد الامام الغزالى فى احياء علوم الدين على معاصريه من العلماء فى هذا الصدد وقال ان هؤلاء العلماء حصروا العلم فى التفسير والحديث والفقہ عامة وفى المناظرة خاصة . ثم ناقش الامام الغزالى العلوم المتداولة الاخرى ، وكره الطلسم وقسما خاصا من علوم النجوم الذى يتعلق بالاخبار وعن احوال التقدير ، وعلم الطبيعة فى ذلك الزمان . وأما آراءه عن الفلسفة اليونانية فمعروفة ، وما عد ذلك من العلوم الاخرى فكان حصوله ضروريا فى رأيه .

ان علماء علوم القرآن اشاروا الى علوم عديدة فى الكتاب الحكيم ، فمثلا نرى السيوطى يذكر العلوم العديدة فى كتابه الاتقان فى علوم القرآن ، فيذكر علم الطب وعلم الجدل وعلم الهيئة وعلم الهندسة وعلم الجبر والمقابلة وعلم النجوم وغير ذلك . (راجع المجلد الاول ص ٣٨٦ باللغة الاردية ، طبع كراتشى) .

ثم اذا نظرنا الى الغاية المقصودة من هذه العلوم ، نرى ان هذه العلوم الجديدة أساسها تلك العلوم القديمة التى ذكرها العلماء

المفسرون . ثم نرى القرآن الكريم يحث المسلمين على السير فى الأرض والنظر الى عاقبة الامم السابقة . فهل يمكن العمل بهذا الامر الالهى بدون المعرفة بعلم الآثار القديمة ؟ وهل الحصول على هذا العلم ليس من فرائض المسلم ؟ فان القرآن الكريم اذا أشار بالعلم فان العلم لا يكون منحصرا فى بعض العلوم التى تدرس فى الكتابات والمدارس الدينية بل انه يشتمل على جميع العلوم التى تقوى صلة المسلم وايمانه بالاسلام . وتطراً بسببها هبة الاسلام على الاجانب ، ويستفاد منها فى تسخير الكون لرفاهية الانسان وتظهر بها مظاهر الفطرة على انفسهم وعلى الاجانب ايضا . وتتجلى بها آيات ربهم فى انفسهم وفى الآفاق .

والى جانب آخر لا تكفى العلوم الحديثه فقط الا اذا كانت معها علوم القرآن والحديث . فان الامتناع عن العلوم الحديثه يمنع الفرد من كونه نافعا للمجتمع ، وكذلك العلم الجديد اذا كان بدون القرآن والسنة لأدى الى المادية ونفى التقوى والروحانية ، فانه لامجال لهذا النوع من العلم فى الاسلام ، فانه علم يضر ولاينفع ، وهذا علم استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالحاجة ماسة الى وضع مناهج دراسية جديدة فى العالم الاسلامى عامة وفى باكستان خاصة بحيث يتصف الطلاب بجميع اقسام العلوم والفنون . فاذا انجزنا هذا العمل الجبار لاقتربنا به الى الغاية المنشودة من وراء ختم النبوة وحظى المسلمون مرة اخرى بمنزلتهم المفقودة وفردوسهم المفقود .

وما علينا الا البلاغ